

نشوء العقيدة اليهودية وتطورها

د. عامر عبد زيد

الديانة اليهودية تنسب إلى اليهود، ولا بد من تحديد دلالة الاسم الذي اختلفت فيه الآراء فهي تبدأ من مكان محدد برأي "احمد سوسه" اذ يرتبط الاسم بمملكة يهوذا المنقرضة، اذ كان اليهود هم سكانها (الذين سباهم نبوخذ نصر إلى بابل في القرن السادس ق.م) ⁽¹⁾ أي هم سكان يهوذا يوم كان اليهود عبارة عن دولتين هما: يهوذا وإسرائيل وهذا ما ذهب إليه (قاموس الكتاب المقدس) حول تسمية اليهود أطلقت أولاً على سبط او مملكة يهوذا، تمييزاً لهم عن الأسباط العشرة، الذين سموا بني إسرائيل، إلى أن تشتت الأسباط، واخذ يهودا إلى السبي، ثم توسع معناها، فصارت تشمل جميع من رجعوا من الأسر من الجنس العبراني، ثم صارت تطلق على جميع اليهود المشتتين في العالم، ولفظة يهودي اعم من عبرانيين؛ لأنها تشمل العبرانيين والدخلاء) ⁽²⁾

إن هذا الاسم يحيلنا إلى تاريخ محدد هو السبي البابلي الذي ظهر به الاسم ليعبر عن هذه المجموعة من البشر حيث إن احمد سوسه يعتبر هذا الواقع التاريخي (ففي بابل مارس اليهود شعائرهم الدينية، وواصل كهنتهم إعمالهم الدينية بتحرير فصول التوراة والتمهيد لتدوين التعاليم اليهودية المعروفة باسم التلمود البابلي، حتى ليقال: أن السبي البابلي كان عاملاً مهماً في تطور الديانة اليهودية) ⁽³⁾ وهذا النص يشكل أهمية كبيرة في تطور الهوية اليهودية بوصفها هوية دينية وقومية عرقية معاً، وأنه يشير إلى ولادة المؤسسة الدينية التي شكلت البديل عن السلطة السياسية فهذه السلطة ارتبطت بالواقع البابلي وما أنتجه من تحدي جودي وديني لليهود ومن ثم سياسي. إن هذه المؤسسة هي التي أعادت إنتاج الرأسمال الرمزي من خلال إعادة قراءة التراث اليهودي والعراقي والكنعاني والمصري...

ومن ناحية ثانية العمل على إحياء الطابع الاقتصادي والمعنوي الذي كان سائداً في مرحلة الأجداد فتلك الأزمنة المستعادة في السرد التوراتي تكشف عن أمرين:

¹ احمد سوسه، العرب واليهود في التاريخ دار الحرية الطباعة، بغداد، 1972، المقدمة، ص"ن"

² قاموس الكتاب المقدس، ص1084. بواسطة رشيد الخيون، الاديان والمذاهب بالعراق ص115.

³ احمد سوسه، العرب واليهود في التاريخ، صص158.

أن تعرض الكتاب المقدس اليهودي هو كنز الهيكل الحقيقي الذي لم يحترق ولم يتلف أثناء الهجمات التي تعرض لها "الهيكل" في القدس ، ومن انه يجسد الها محمولا في كل مكان يجد فيه العزاء من فقدته ومن فقد "الهيكل"، ويمثل بالتالي ، هيكلا (وطنيا) يحمله "المختارون" المطاردون إلى حيث يستقر بهم المقام (4)

نلاحظ أن اليهود العبرانيين بسبب الفاعلية الكبرى للتجارة الداخلية والتجارة الخارجية أولا ووجود احتمالات مفتوحة في معظم الأحيان لاندلاع حروب طاحنة مدمرة ثانيا ، ونشوء توقعات كبيرة لتغير البنية السكانية تطيح بالاستقرار لفترة مديدة على الأرض المستهدفة .

وجودوا أنفسهم أمام ضرورة توسيع الاقتصاد النقدي الربوي القابل للحمل والنقل ، والذي يجعلهم قادرين على أن يكونوا في أي مكان ، دون أن يترتب على ذلك فقدانه أو فقدان الكثير منه (5) وهذا جعل اليهود قادرين على مواجهة الأخطار فاستطاعوا التنقل من مكان إلى آخر حيث يكونوا يكون دينهم ومالهم معا وهذا ما حدث بعد السبي البابلي حيث تحقق لليهود ما كانوا يوعدون به من ارض وحضارة متقدمة أتاحت لهم العمل والإبداع فاندجوا في هذه الحياة . وهذا ما يمكن رصده في النقاط الآتية :

- التزاوج المختلط الذي انتشر على نطاق واسع من قبل الطرفين وتحت حماية السلطة البابلية بين اليهود والبابليين .

الحركة التجارية المنتظمة فتحت لليهود أبوابا جديدة على عوالم الآخرين ، وان لم تكن هذه الحركة واسعة .

كانت اللغة اليهودية العبرية القديمة تجد نفسها شيئا فشيئا مضطرة للانحسار أو للتقوقع أمام اللغة الآرامية ، حيث أسهم ذلك في مزيد من تعميق الاندماج والانصهار ، ومن الخروج عن دائرة الكهنوت اليهودي وعليها (6)

والأمر نفسه حدث مع الأجداد في زمن موسى او بعده كما يشير لهذا "جان بوتيرو" بقوله عندما استقر بنوا إسرائيل بين الكنعانيين ، يتعلمون منهم أسباب أسلوب حياتهم، يقلدونهم ويحاولون الحلول محلهم، يشاهدون على الدوام الإلهة أخرى معبودة في مختلف أرجاء البلاد ذلك أن

⁴ طيب تيزيني ، من يهوى إلى الله ، القسم الأول ، ج3، دار دمشق، ط1 ، دمشق 1985، ص121.

⁵ المصدر نفسه ، ص121.

⁶ نفس المصدر ، ص130.

المؤمنين بهذه الآلهة، ممتنين منها، على مر العصور كما يبدو، ويعترفون لها بالسيادة على الأرض التي كانوا يعيشون عليها وأيضاً بالإسرار الفعالة التي تسمح باستثمار هذه الأرض. كيف يمكن تجاهل الفرصة والتعرض لخسارة الموسم جراء عدم القيام بواجب التكريم والإجلال كما يفعل الكنعانيون لإلهتهم منذ القدم -آلهتهم : داغون، سيد الحبوب والحرث ،خالق القمح والمحراث . هدد، موزع الأمطار النافعة،عشتار، سيدة الحب ، وبالتالي سيدة الخصب والرخاء ؟ في الحقيقة ، كان الإغراء قويا .⁽⁷⁾

ويبدو أن الإغراء كان يقوم على كسب البعد البراغماتي الذي جاء حين خرج الشعب من حياة البداوة والترحل ودخل إلى الحياة الزراعية؛ الا انه يحاول الاندماج والخروج على الخيال العقائدي القائم على :العلاقات التجارية الربوية والروح الحرية والمال والشعور بالتميز والاصطفاء هي العناصر الثابتة التي صاغها الكهنة المصطفين بين المصطفين فهذا الفعل الاندماجي يكون ارتكب خروجاً على السلطة الدينية و على الإرادة الإلهية التي تحتم العقاب عليه بالموت بارتداده عن دين التوحيد إلى الوثنية والخروج على إرادة المعبد"الهيكل" قديماً وفي السبي على إرادة الكنيس .التي اسماه "أرنولد توينبي" (مؤسسة فريدة) والذي استنبطه زعماء اليهود في بابل .لقد تمثلت هذه المؤسسة ب"الكنيس" واذا ما صدق جيمس باركس ، فان الكنيس البابلي كان الأول من نوعه في التاريخ اليهودي العبري ،إن استحداث الكنيس جسّد رد الفعل الواعي والقلق والمخطط، الذي انطلق من أوساط أولئك الزعماء تجاه عملية الاندماج اليهودي العبري في المجتمع البابلي .وهذا من شأنه أن يكون قد عنى أن إنشاء المؤسسة الدينية المذكورة اريد له أن يكون رأباً للصدع الكبير الذي عصفت بالبنية عمقا وسطحا ، تلك البنية التي تحور حولها النفوذ الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والديني للكهنوت ، والتي استمد منها هذا الأخير شخصيته الشرعية المهيمنة على هذه الأصعدة ⁽⁸⁾

ومن هنا نلمس أهم مقومات ذلك الخيال العقائدي لليهود الذي أصبح الناطق باسم المؤسسة الصانعة له والتي تقوم بترميمه عبر التفسير او التأويل الرمزي لتحوّله إلى رابط لا يمكن الخروج عليه بل تحوله إلى رابط بين الله والشعب يتغلغل في اللا شعور الجمعي المبني على

⁷ جان بوتيرو ، ولادة اله التوراة والمؤرخ ، ت: جهاد الهواش و عبد الهادي عباس ، دار الحص اد ، ط1، دمشق 1999، ص59.

⁸ طيب تيزيني ، من يهوى إلى الله، ص134.

جملة عامة من المقولات القابلة للاستهلاك والقابلة للفهم من العوام والخاضعة بشكل دائم للتأويل أو التحايل الفقهي بما يتفق مع مستجدات الزمان وحاجات النخب المهيمنة التي تمثل السلطة المؤسسية الدينية ، واهم مقولات هذه الدوغمائية التي تغدو في أحيان كثيرة يوتوبيا تقوم على نصوص فلكلورية حسب توصيف "جان بوتيرو" وهذه المقولات قائمة على مركزية نص مؤسس يتناول قضايا ذات طابعا كونيا من خلال السرد المقدس الذي يتركز على تاريخ ناس معينين ينسج حولهم محور السرد من خلال قصص الخلق والطوفان او غيرها من قصص التوراة بحسبانها مفردات صادقة مسلم بها وطلب من المؤمنين الرجوع إليها في التوراة وهي قائمة على وفق النقاط الآتية:

4-1- تاريخ مقدس يبدأ (بالخلق) وينتهي الى مرحلة الكمال في المستقبل ويبين موقف الله من الإنسان.

4-2- وجود طائفة صغيرة من الجنس البشري حباه الله ، بحبه دون سواها وهذه الطائفة عند اليهود هي (الشعب المختار) .⁽⁹⁾

إن هذه الديانة ومدونتها التوراتية تبدأ رسميا بوصفها مدونةٌ وحي الهي تلقاه النبي موسى على الجبل بوصفه الزعيم الذي يمارس الرعاية والاهتمام بالرعية وبوصفه الراعي الذي يسهر على استقامتها ومن ثم حمايتها والسهر عليها فهو المنتخب للرعاية والهداية فقد (تكلم الرب فقال ، أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من دار العبودية ، لا يكون لك الهه سواي ، لا تصنع لك تمثالا منحوتا ولا صورة شيء مما في السماء من فوق ، ولا مما في الأرض من تحت ، ولا مما في المياه من تحت الأرض ، لا تجسدها ولا تعبد لها لأنني أنا الرب إلهك)⁽¹⁰⁾

فهذا النص يبين منذ البداية الانفصال التام عن الخطاب الثقافي الديني والسياسي المصري والانفصال التام داخل مجتمع يرعاه الإله والنبي الساهر على الجماعة وإليه تنسب الخمسة التي تناول الأزمنة البدئية للجماعة الجديدة الموسوية التي تمتد إلى تراث قديم من الزعماء والآباء؛ لهذا تجذر الجماعة إلى نفسها (وحسب التوراة وأسفار العهد القديم ، تعود إلى إبراهيم الذي ورد

⁹ انظر رسل حكمة الغرب ج1 ص وانظر محمود القمي الاسطورة والتراث ص179 وانظر على شوك ، الاساطير بين المعتقدات القديمة والتوراة ، دار اللام لندن ، 1987 ، ص86.78. وانظر فراس السواح مغامرة العقل الاول. دار الكلمة بيروت ، ص211 وروجيه غارودي ، الاساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية ت محمد هاشم دار الشرق ج2 ، 1998 ، ص54.

(¹⁰) - سفر الخروج : 20 (1 - 5) .

ذكره في الخمسة الأولى) (11) أي إن الديانة بحسب المدونة التوراتية تبدأ مع الموسويين حيث بداية النبوة إلا أنها تعود إلى الأسلاف حيث بداية العهد عبر اختتام مع إبراهيم (العبريين) وما جاء بعد الوعد بالأرض ثم انتقال الوعد إلى الحفيد يعقوب (الإسرائيليين) ليكون مع ابنة، ومن هنا جاءت دلالات تاريخية لتلك الأسماء وثمة أسماء تذكرها المدونة التوراتية حول الأصل المفترض لليهود أن المدونة التي تنسب إلى موسى هي ذاتها تتناول سرد أحداث البدايات الكونية وهي بهذا تكون قد تكونت من نصين الأول المرويات الشفهية الطويلة التي بعضها ينتمي إلى الأسلاف أو مستعار من الثقافات التي مر بها هؤلاء الأسلاف ثم تحولت إلى نصوص مكتوبة وهي الأخرى متنوعة بحسب الأزمنة الثقافية التي مرت بها في رحلتها من الراوي الأصل الذي عاش ودون المروي الشفهي للجماعة بوصفها وحيا وبين الراوي النظري الذي يسميه "هيجل" بالتاريخ العملي أو البرجماتي الذي يهتم أساسا باستخلاص العبر والموعظة، والمبادئ والقيم والدروس الأخلاقية من أحداث الماضي (12) فهذا المروي التاريخي يقوم على الجمع والترميم بين النصوص من خلال جعلها تنتمي إلى نص واحد وهذا ما حدث مع التوراة التي تنتمي إلى نصوص متفرقة في الأسلوب والأسماء والأماكن؛ إلا أن الكاتب أو المؤرخ التوراتي عمل على دمجها من أجل هدف عملي ديني وهذا ما أشار إليه "جان بوتيرو" وهو يمارس دور المؤرخ النظري لكن النقدي بعرف "هيجل" الذي من صفاته (هو) التاريخ الذي لا يعرض وقائع التاريخ نفسه وإنما يعرض الروايات التاريخية المختلفة لكي يقوم بفحصها ودراستها ونقدها، وبيان مدى حقيقتها، ومعقوليتها، كما هي الحال حين يقوم مفكر معاصر بنقد روايات تاريخية مختلفة، والمقارنة بين المؤرخين كتبوا خلال فترة واحدة فيكشف عن مدى المبالغات في روايات فلان، وعدم الدقة، أو الخلط من المعقولة في رواية مؤرخ آخر... (13) وهذا ما فعله "جان بوتيرو" عندما يقول: إن أسفار التوراة تحمل جميعا، بنسب مختلفة، عند سرد الأحداث، الطابع النفعي لمؤلفيها أو جامعها، والاكتشاف التمهيدي الأكثر تخريبا، بالنسبة لمؤرخي التوراة كان تقصي هذه المدخلات التي هي عبارة عن حشو يؤدي بصر ذلك الذي يبحث عن حقيقة الماضي، وتقليص هذا الركام الكثيف إلى عناصره

¹¹ نزار يوسف، الحكمة بين الآله والسلطان، دار الفرق للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، دمشق، د-ت، ص241.

¹² هيجل العقل في التاريخ، ت: وتقديم وتعليق د.امام عبد الفتاح امام، المجلد الاول من محاضرات في فلسفة التاريخ، دار تنوير، ط3، بيروت، 2007، من المقدمة المترجم، ص38.

¹³ المصدر نفسه، ص39.

الوثائقية الأولى، بغية استعمالها مباشرة لرواية التاريخ بشكل سليم) (14) لهذا عندما يمارس دور المؤرخ الناقد للإسفار المنسوبة إلى موسى والمسماة "الهكزاتيك" : الست الأولى من التكوين وحتى إشيع (مؤلفو الهكزاتيك ، قاموا بتقطيع الاحداث والعمل على تشابكها تماما مثل صفائر الحبال ، بغية سرد رواية تبدو لأول وهلة منسجمة ومتجانسة ، محاولين على الرغم من ذلك الحفاظ على كل ما جاءت به هذه الروايات المستقلة من تفاصيل تماما وهذه الروايات هي : "اليهودي" تبدأ مع الخلق و تعود إلى القرن الحادي عشر قبل الميلاد ويفترض انها كتبت في اورشليم القدس او حولها ، والرواية الثانية هي باسم "ايلاهيم" تبدأ مع ابراهيم . اما الرواية الثالثة هي اكثر ارتباطا بالتشريع الديني منها بالتاريخ فجدها في ثنية الاشرع (تعاليم موسى الاخيرة ووفاته قبل الغزو) التي كتبت هي الاخرى ايضا في اورشليم القدس في القرن السابع قبل الميلاد تقريبا . اما الرواية الرابعة فهي في القانون الكهنوتي وسميت كذلك نظرا للطابع الكهنوتي الذي يميزها فهي دقيقة ، جافة تعبر اهتماما كبيرا للأرقام والخطوط الكبرى تبدأ مع التكوين ويبدو أنها كتبت في المنفى ، بعد ثنية الاشرع بقرنين تقريبا . (15) ومن هذا يظهر أن النص الذي ينسب إلى موسى دونه ككاتب او جامعون مختلفون وتعرض إلى إعادة التدوين ليغدو نصاً موحداً يستجيب للحاجات الدينية .

5-1- التراث المقدس الكلاسي ينقسم المدون وشفاهي :

ولعل الرواية تدور في الأساس حول شخصية محورية هي موسى فهي تشكل المدونة المقدسة ، وتنسب الى موسى - قد جمعت اثناء فترة السبي وما بعدها - التي تنقسم الى تراث مدون هي التوراة وتراث شفهي ينسب هو الآخر الى موسى وهو التلمود ، أما التوراة بوصفها نصاً ينقسم الى روايات متنوعة النص العبري والنص السامري والنص المعروف بالتوراة ومرد هذا التأثير الذي اثمر نص التوراة مع التجربة الوجودية لليهود التي تركت ظلها عبر تلك الصياغة التي صيغت فيها التوراة فهذه الخمس كتبت بعد السبي البابلي في القرن السادس (ق م) في أثناء حديث شاحاك عن مراحل تاريخ اليهودية ويعترف كأمر بديهي ان معظم كتبت في القرن السادس قبل الميلاد بعد السبي البابلي " مرحلة مملكتي اسرائيل و يهوذا القديمتين حتى دمار الهيكل الاول (587 ق م) والمنفى البابلي (يعنى معظم العهد القديم في هذه المدة , على

¹⁴ جان بوتيرو ، ولادة اله التوراة والمؤرخ ، ص 27.

¹⁵ المصدر نفسه ، ص 29.

الرغم من ان معظم الرئيسة ، بما فيها الخمس ، كما نعرفها ، جرى تدوينها فعليا بعد ذلك التاريخ (¹⁶) ، ويتفق جميع الباحثين ودارسي التوراة ، تاريخاً وكتابة وترجمة ، على أن النسخة الأصلية للتوراة قد ضاعت من أيدي عسكر نبوخذ نصر . فقام رهط من أحبار اليهود بنقلها وجمعها . وحين ظهرت هذه النقول المجموعة على يد "عزرا" ضاعت مرة أخرى في حادث حرق أورشليم ، التي قام بها الملك "أنتيوكس" بعد احتلاله القدس ، فحرق جميع نسخات العهد القديم وأمر بقتل كل من يوجد عنده نسخة من هذه الكتب . وليست هذه الحادثة هي آخر ما وقع لهذا الكتاب من أحداث وواقعات كانت قبل مئة عام من ميلاد السيد المسيح ، فقد تكررت هذه الوقائع بعد الميلاد .

ومن نافلة القول أن كل منقول مشكوك بصحته وهذا ما يمكن استتيانه من المدونات التاريخية والكشوف الأثرية التي أماطت اللثام عن التوراة ومغالطاتها سواء من حيث التسلسل الزمني للتواريخ والوقائع المثبتة تاريخياً أم من حيث الأسماء والأماكن والسلالات والهجرات . ناهيك عن الحذف والزيادة التي حصلت بما يتفق ومزاج أو أهداف كتبة التوراة . إذ إنهم دونوا كل ما ارتأوه جديراً بأن يحتويه تاريخ ، اما من ناحية التصنيف فيمكن تصنيف التوراة على وفق الآتي:

التوراة التي أطلق عليها في بعض المراحل "كتب موسى":

كما جاءت في بعض الكتابات اليونانية تحت اسم pentateuch او (بنطاتيخ) التي تعني الكتاب ذا الخمسة (¹⁷) الا ان هذا النص تعرض الى الكثير من التطورات فقد تبدل وجرت عليه تغييرات بما يتطابق وعصر الأحبار أنفسهم . ولذا فهو أنواع هي:

التوراة اليونانية (أو السبعينية) وقد كتبها سبعون كاهناً يهودياً ، جمعوها باليونانية في جزيرة (فاروس) عند مدخل الإسكندرية سنة (285) قبل ميلاد . وقد جمعت تلبية لرغبة بطليموس فيلادلفوس (280-247 ق.م) ثم ترجمت إلى اللاتينية بعد 100م (¹⁸) وأخذ

¹⁷ احمد سوسه ، العرب واليهود في التاريخ ، دار العربي للنشر والطباعة ، ط4 دمشق د.ت ، ص
¹⁸ - هناك نص هو عبارة عن رسالة مخطوطة مُكتشفة لرجل يُسمى أريستياس كتبها لأخيه فيلوقراط نستطيع أن نعلم أن سبب ظهور هذه الترجمة للوجود هي أن بطليموس الثاني (بطليموس فيلادلفيوس) أراد أن يُكمل مكتبته ويوفر فيها ما أراده ويزيد من عدد كتبه من 250 ألف إلى 500 ألف كتاب ، فسأل عامل مكتبته الفيلسوف الاثيني ديمتريوس عن ما تحتاجه المكتبة من كتب فأشار عليه بترجمة الكتب المقدسة التي بأيدي يهود الإسكندرية ووضعها بالمكتبة . فأمر الملك بترجمتها إلى اليونانية . وكتب الملك رسالة إلى الخبر الاعظم في أورشليم أن يُرسل له 6 أحبار من كل قبيلة

ديمتريوس هؤلاء الإثنين والسبعين حبراً إلى جزيرة فرعون ووضعهم في بناء في شمال الجزيرة قُبالة البحر وأنْهوا الترجمة في اثنين وسبعين يوماً . وتم إرسال جميع اليهود إلى الجزيرة لتُقرأ عليهم الترجمة ثم أقيمت الصلوات وخُتِمت باللعة على من يُضيف أو يحذف شيئاً من هذه الترجمة . تم أخذها وقُرئت على الملك. ولكنَّ هذا الكلام يعاني من غياب الموضوعية بفعل انحياز الديني الى معتقد ما يؤدي الى التعامل معه خارج ما تعرف به الموضوعية التاريخية فهناك جملة من الملاحظات تؤخذ عليه منها : أنَّ الطابع الاسطوري يظهر واضحاً في السرد بعيد عن التوثيق القائم على النقد الموضوعي، ومنها فقدان عشرة من الاسباط الذين ضاعوا ولم يبقَ الا اثنان اذ كيف تحقق لهم الحضور هنا ؟ وهذا دليل على ان الموضوعية غائبة . ثم إنَّ هذا الترادف بين عدد الذين قاموا بالكتابة وبين الزمن الذي تمت فيه الكتابة فعدددهم اثنان وسبعون والوقت الذي شغلوه كان اثنان وسبعون ترابط يسقط الاسطورية على الاحداث ويجعلها غيبية خارج الحدود الموضوعية . وقد احيط النص المنتج بهالة من القداسة حتى يتم اسباغ الشرعية عليه وقد تفرد فيلو اليهودي اليوناني الاسكندري بخلق إلهامية مُصطنعة لليهود الإسكندرية لما بين أيديهم من كتابات في مجابهة يهود العبرانية . ثم قام الآباء بتصديق قصة إلهاميتها والإيمان بقدسيتها بل يزدون من خرافات القصة , وكأنهم صمّموا على جعلها ميثولوجيا صِرفة .. فأغدقوا عليها بالخيالات المُبتدلة من دون أي مصدر أو سند لما يقولون ولا يقف الأمر عند هذا الحد ... بل إنهم يُناقضون بعضهم البعض حين يتحدث عن خرافات إلهاميتها .. كما سنرى بعد قليل.⁽¹⁹⁾

: التوراة السامرية (نسبة إلى السامرة):

التي جمعت بعد انقسام دولة الغزو بعد سليمان وعرفت بالآرامية بسبب كتابتها أثناء السبي البابلي. وهي تختلف في مضمونها عن التوراة المنسوبة إلى موسى، كما سميت (بالتوراة الكهنية) أيضاً. والتوراة السامرية مصطلح يطلق على النص التوراتي الذي يؤمن به السامريون، وهو النص المعتمد لديهم. وهذا المصطلح يقابل مصطلح التوراة العبرانية أو العبرية التي يؤمن بها ويعتمدها اليهود. والخمس المنسوبة لموسى لها ثلاث نسخ: عبرية وسامرية وسبعينية (مع ترجمات

من قبائل اليهود الإثني عشر ومقابل ذلك أن يُحرر الملك أكثر من مئة ألف عبد يهودي بمصر . وأرسل طاوله توضع في قدس الأقداس من الذهب الخالص ومرصعة بالفضة والأجار الكريمة. فأرسل الحبر الأعظم أليعازر 72 حبراً إلى الإسكندرية ومعهم مدارج كُتب فيها الكتاب بأحرف من ذهب ستة من كل قبيلة. مهرة في الكتاب وعلماء باللغة اليونانية.

أخرى. وفي التوراة السامرية تكرير للبشارة الموجودة في التثنية 18 بعد الوصايا العشر، وتضيف أمراً إلى الوصايا العشر باتخاذ معبد في جبل جرزيم قرب نابلس. وقد جهل الغرب خلال العصور الوسطى عن هذه التوراة حتى عام 1645 عندما اشترى أحد المسافرين مخطوطة من سامريي دمشق. وعند السامريين (كتعريب لكلمة شومريم) فالكتاب المقدس هو الخمس الأولى فقط، أما ما لم ينسب لموسى فلا يؤمنون به. وتختلف التوراة السامرية عن اليهودية في آلاف المواضع، وفي بعض تلك المواضع تتفق مع النسخة اليونانية سبعينية ضد النسخة اليهودية ماسورتية التي أخذت شكلها النهائي في القرن العاشر للميلاد. وقد ترجمها أحد علماءهم إلى اللغة العربية، ويلاحظ تجنبها لعبارات غير لائقة عبر إضافة كلمة (ملاك) أمام كلمة (الله) أحياناً. والتوراة مكتوبة بأحرف أقدم من تلك الموجودة في النسخة اليهودية..⁽²⁰⁾

الخلفية:

وهي محظورة التداول لدى اليهود في الكيان الصهيوني وخارجه نظراً لما تتضمن من بدع وخرافات، ويسمونها (كتوبيم أخرونيم) أو الكتابات المتأخرة أو الأخيرة. أو (الأبوكريفا) و الخفية، وهي جملة تلفيقات تختلف عما سبقها من كتب.

النص الشفاهي (التلمود المقدس) او (أو التلمود المجازي): وهو التراث الشفاهي الذي تم تدوينه من الأخبار في بابل اثناء السبي . ويقسم إلى قسمين: مشنا وجمارا - المشنا تعني المتن وجمارا وتعني الشرح أو التفسير. وهو كسابقيه يختلف في الأحداث والأزمان، وكتب بما يتفق وعصر تدوينه ومؤلفيه أيضاً (من كهنة وإيلوهي) وفيها أساطير تم اقتباسها الكاتب اليهودي - الكهني.. حيث وجد فقهاء اليهود أيام السبي البابلي أن البابليين والكنعانيين ثقافة وأساطير أرادوا أن يجاروها، فقاموا بتبنيها بما يجعلها متفقة والتراث اليهودي التوحيدي ، لأنهم كانوا على تماس مع تلك الشعوب المجاورة الي كانت بينهم تأثيرات متبادلة كثيرة فقد كانت هناك الكثير من التناصات مع الموروثات الروحية لدى البابليين والكنعانيين. مما يعني ان الخطاب التوحيدي كان متأثر بالفكر السابق او معاش لهم ولعل أشهر المدارس البحثية في التوراة، وهي مدرسة "فلهاوزن Willhawsen"، التي أكدت أن تصانيف التوراة قد بدأ جمعها بعد عهد موسى بقرون، وأن الجُماع والمصنفين كانوا مختلفين مزاجاً ومَثرباً، ودلّت على ذلك بأدلة هامة، لعل أخطرهما ولا يقبل جدلاً، أن اسم الإله وطبيعته وعلاقته باليهود، يختلف ما بين سفر وآخر، إضافة إلى تكرار القصص في ، مما يشير إلى أن المصنفين لم يلتقوا معاً، ليصفوا

²⁰ - كتاب التوراة السامرية: ترجمة إسحاق الصوري وتحقيق أحمد حجازي السقا.

ما بينهم من خلافات حادة في التفاصيل، هذا مع فروق واضحة وعميقة إلى حد التنافر التام في اللغة والأسلوب بين هذه ⁽²¹⁾.

أما النسخة العربية، فتؤكد على غلافها أنه "قد ترجم عن اللغات الأصلية، وهي العبرانية (أصلاً الكنعانية)، واللغة الكلدانية (وما تحمله من تراث رافدي طويل)، واللغة اليونانية (وما حملته من علوم جامعة الإسكندرية وتراثها المصري العريق)". ⁽²²⁾.

ولكننا نلحس أن النص يتركز حول زعيم ومن هنا تظهر امامنا ثلاث زعامات تكونه منها المروية التوراتية هي الطبقات التي تروى انطلاقاً من موسى بوصفها وحياً الذي يعتمد (العبرانيين) و(الإسرائيليين) و(الموسويين) و(الساميين) هنا نحاول البحث الجينالوجي في الدلالة لتلك الأسماء .

6- تكوين الاسلاف من اليهود : حيث ان المدونة التوراتية تتحدث عن ثلاثة اسلاف

المكون الاول جاء مع ابراهيم (العبرانيين) ثم مع الحفيد (الإسرائيليين) ثم جاء الخروج

مع موسى (الموسويين) .

6-1- مدّة الإسلاف (العبريون) :

الاسم الأول الذي يشير إلى فترة الإسلاف ⁽²³⁾ إبراهيم والولادة هو (العبريون) : "إبراهيم" الجذ الأعلى الذي حاز الميثاق وهو نقطة الالتقاء في الأديان الثلاثة ومنه يتفرع سرديتان هما: الإسرائيليون والاسماعيليون ، وهذا ما يشير له "رينهارد لاوت" : فيما يخص قصة إبراهيم ، والذي يلفت فيها النظر أنها أول سيرة ذاتية نجدها في الكتاب المقدس ، وهي بهذه الصفة حياة مشكلة عضويًا بشكل كامل ونضيف إلى ذلك أنها كتبت بيد كاتب مدفوع دينياً إلى فعل ذلك ⁽²⁴⁾

وقد بدت تلك المرويات الدينية لدى جمهرة من الباحثين مجرد روايات شفاهية غير محددة وغير دقيقة ولعل هذا ما يخبرنا به غارودي بقوله (يعرض لنا رواة التوراة تاريخ إسرائيل بوصفه

²¹ سبينو موسكاني : من عرض لآراء فلهاوزن بكّابة : الحضارات السامية القديمة ، ت: يعقوب بكري ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، 1957، ص157.

²² إيفارلسنر، الماضي الحي ، مصدر سابق، ص142.

²³ الاسلاف كما يشير إلى هذا سيد محمود القمي ...

²⁴ رينهارد لاوت ، إبراهيم وابناء عهده مع الله ، ت: غانم هنا ، خطوات للنشر والتوزيع ، ط1، دمشق 2006، ص12.

سلسلة من العصور المحددة تحديداً دقيقاً. فهم يدرجون كل الذكريات والقصص والخرافات والحكايات والأشعار التي انتقلت إليهم عبر التراث الشفهي ، ضمن إطار المحدثين على أن هذه الصورة التاريخية لا تعدو أن تكون صورة وهمية إلى حد كبير)⁽²⁵⁾ وهذه المرويات التي مرت بالجمع من عهد سليمان النبي إلى السبي البابلي وما جاء بعد ذلك هي مرويات لا تخلو من الأساطير والتناصت مع التراثات المحلية إلى جانب التوظيف السياسي . مما جعل بعض المؤرخين من بينهم اليهود أمثال "البيرت آلت و"مارتن نوت " يعتبرون تقسيم التاريخ إلى عصور متعاقبة "الآباء - السحرة في مصر - غزو كنعان" هو تقسيم مصطنع . بل هي في نظر فرانسواز سميث مجرد قصص خيالية فالروايات التاريخية التوراتية لا تعرض لنا معلومات عما تقصه بل عمن يروونها . بل إن " البيرت بودي " يكشف المسكوت عنه في تلك الروايات أنه التوظيف السياسي بقوله : (لقد تناول السواد الأعظم من المفسرين هذا الوعد الأبوي بمعناه التقليدي ، لاضفاء الشرعية في فترة لاحقة على الغزو الاسرائيلي عما كانت عليه في عهد الملك داود ، بعبارة أخرى ، فإن هذا الوعد قد أدرج في نصوص الآباء ، بغرض جعل هذه "الملحمة السلفية" بمثابة مقدمة وإعلان لمقدمة العصر الذهبي لداود وسليمان)⁽²⁶⁾ ونحن نجد أن تلك النقود موضوعية في تحليل تلك النصوص الشفاهية التي تعرضه إلى الكثير من الحذف والتوظيف السياسي ، ومن أجل تحليل تلك النصوص التي تحدث عن ثلاث مرويات تم جمعها في الخمس وهي كما يأتي :

هنا كان العهد الأول مع إبراهيم (العبري) فن الحفر عن الاسم يبدو أن المدونات الرسمية التي كانت قائمه في تواريخ الدول المهيمنة في مسرح الأحداث لم تظهر أثر بين لدون الدرامية للتوراة المتأخرة إذ كانت هناك تحركات طبيعية هي حركة البدو حول الحواضر، ويمكن قبول الادرامه التوراتية ضمن تحركات البدو الدائمة ، وربما كانت نهاية المطاف والاستقرار بالنسبة لهذه المجموعة في فلسطين التي كانت تشهد حقبة انتعاش على يد الكنعانيين؛ إلا أنها لم تعط مكاناً مبرزاً في سردها مثلما أعطته التوراة إلى إبراهيم وعائلته في رحلة وصولهم إلى فلسطين قادمين من حران ولكنّ الترحل الإبراهيمي المذكور في العهد القديم وضمن تلك الفرضية القائمة على حركة البدو غازية أو باحثة عن الخصب في الحواضر وهي مفردات طاردة يشكل خطر الذي يسببه هؤلاء لحواضرها . ونستطيع الحفر في دلالة الاسم في لغات الحواضر القديمة

²⁵ - غارودي ، اساطير المؤسسة ، ص 43.

²⁶ - المرجع السابق ، ص 44.

عن المعنى ودلالته اذ وجد في الاكدية صيغة ibbiar ابيار ، وتعني الهارب أو الذي هرب ، وهي تقابل المعنى السومري SA.GAS والاكدية habiru خبرو وتعني غزاة ، رجال غزو ويستعمل تعبير "سا - غز" للدلالة على رجال من هذا النوع ويقابله بالاكدية habbatu أي القتلة⁽²⁷⁾

فهذا الحفر لا يشخص بقدر ما يعمم لغة الصراع بين المدن والصحراء ؛ إلا أن القراءات القصصية سواء كانت دينية قديما او سياسة معاصرة تحاول التأويل والبحث عن معنى يضفي على مخيالها السياسي الشرعية في استمرار الغزو والاستيطان من هنا تسعى هذه القراءات الى البحث عن الشواهد التاريخية والاثارية ، فقد حاول بعض المختصين بالدراسات المسمارية من اليهود وبعضهم يدرس في جامعات الكيان الصهيوني أن يربط بين كلمة خايرو أو عايرو وكلمة (عبريم) التوراتية التي تعني عبراني ، بالجذر (ع ب ر) أو بالمصدر المشترك والذي يعني مر وعبر وكان الهدف من ذلك كما هو واضح محاولة لاختراع اصول في فلسطين لجماعات العبرانيين الذين استولوا على ارض كنعان حسب رواية سفر يشوع⁽²⁸⁾. والواضح أن التعليل ليس علمياً لأنه ينطلق من محاولة إثبات ما هو قائم في المخيلة الدينية وإعادة استثمارها في الهيمنة على الأرض وهذا الأمر كان له ما يعارضه من حيث التأصيل المكاني ، إلا انه أيضا يعتمد ذات الأسلوب القائم على الحفر اللغوي كما فعل كمال الصليبي ، الذي اختلف في تحديد مكان للسرد المتخيل للتوراة فقط ولكنه يؤكد ارتباط الاسم السرد التوراتية التي تتخذ من إبراهيم مركزاً لمحور الرغبة في سردها اذ يرى (ان تسمية العبريين هي نسبة إلى إبراهيم نفسه ، حيث وصف إبراهيم بـ (العبري)⁽²⁹⁾ ، وهي دلالة أيضا أشار لها الكثير من الباحثين عبر حفرهم في دلالة اللغة من خلال الفعل الثلاثي "عبر" بمعنى عبر النهر في إشارة إلى عبور إبراهيم ومن معه لنهر الفرات بعد أن هاجر كما تروي إسفار العهد القديم، من مدينة اور. أو إلى عبورهم لنهر الأردن إلى الضفة الشرقية ، ثم أنهم أضافوا ياء النسبة على (عبر) فأصبح "عبريا" وهذا الرأي

CAD : H, Vol. 6, p. 84; Bottero, J., Real Lexicon d' Assyriology, Paris - 1972- 75, Vol .4, ⁽²⁷⁾
p.22; Na'aman, N., "Habiru and Hebrews: The Transfer of Social Term to the Literacy
Sphere", JNES, Vol. 45, No. 4, 1986, p. 275-278; Johnson: opcit, p. 37-38.

⁽²⁸⁾ السواح ، فراس: ارام ، دمشق ، اسرائيل في التاريخ والتاريخ التوراتي ، ط 5 ، دمشق - 1999 ، ص 83 .

⁽²⁹⁾ كمال الصليبي ، خفايا التوراة واسرار الشعب إسرائيل ، ط 4 ، بيروت - 1998 ، ص 96-97 .

هو الأرجح لدى جمهرة الباحثين ويقولون إن الكنعانيين هم الذين أطلقوا عليهم هذا الاسم⁽³⁰⁾

ولكننا نستطيع القول انطلاقاً مما انطلقنا منه حول علاقة الحواضر بالبدواة كان (الكنعانيون والفلسطينيون يسمون بني اسرائيل بالعبريين لعلاقتهم بالصحراء ويميزوهم عن أهل العمران، ولما استوطنوا ارض كنعان وعرفوا المدينة والاستقرار صاروا ينفرون من كلمة عبري التي كانت تذكرهم بحياتهم الاولى حياة البدواة والخشونة⁽³¹⁾. وعن حياة البدو قال جان بوتيرو (هؤلاء البدو في الشمال ، الذين يعيشون في السهوب لا يعرفون الحبوب والمساكن والمدن ، يأكلون اللحوم بدون طهي ، ولا يمكن تثقيفهم أو تنظيمهم . واذا ماتوا فانهم لا يدفنون وفق الطقوس)⁽³²⁾

ولعلّ هذه الثنائية بين الراعي "البدوي" والمزارع ثنائية لها وجود عميق في البنية الذهنية الشرقية القديمة كما جاء في النصوص السومرية والبابلية ، وكما عكستها التوراة في ثنائية الراعي والمزارع هايل وقايل يعبر عن الخطاب الرعوي لليهود ؟

إننا نلحس مرة أخرى أن النص التوراتي يعيد بناء ذاكرة الجماعة و بناء هوية تخيلية افتراضية تعيد تأميم الرأسمال الرمزي للمنطقة وجعله رأسمال خاص بالجماعة اليهودية فهذه دلالة الجد الأعلى لليهود الذي يمثل العهد الأول مع الرب نستطيع ان نلحس في جذور مشتركة تنتمي للمنطقة أي رأسمال جمعي قبل ان يتم تأميمه من السارد التوراتي وبثخري المكتشفات التاريخية نجد: أن إله إبراهيم هو "إيل" خالق السموات والأرض وهو مشتق من الخل وإيل أي صديق الله أو حبيب الله⁽³³⁾. وهذه عادة عربية قديمة موروثه في التسمية ، وهنا يظهر بوضوح ما هو سائد في أغلب النصوص الأسطورية وهي تعتمد التناصبات مع غيرها بشكل مقصود او غير مقصود ؛ ونجد أن النص التوراتي يمارس قراءة النصوص السابقة او المعاشة لها ،لهذا نراها قد ربطت سلالات اليهود سواء كانوا موسويين او غيرهم بإبراهيم النبي الكلداني ليكون لليهود الحق بامتلاك أرض فلسطين، الذين مارسوا التأويل والتفسير والتدخل النحوي في تغيير المعنى

³⁰ رشاد عبد الله الشامي، اشكالية الهوية في اسرائيل ، الكويت - 1997 ، ص 57 ؛ ظاظا ، حسن : الساميون ولغتهم ، دمشق - 1971 ، ص 72 .

³¹ محمد سيد الطنطاوي، بني اسرائيل في القرآن والسنة ، ط 2 ، ليبيا - 1973 ، 1/3-6 ؛ ولفنسون ، أ. : تاريخ اللغات السامية ، القاهرة - 1929 ، ص 77-78 .

³² جان بوتيرو ، ولادة اله التوراة والمؤرخ ، ص 32.

⁽³³⁾ وجاء في القرآن الكريم: ﴿واتخذ الله إبراهيم خليلاً﴾ (خل - إيل - خليل الله الرحمن).

حتى يتناسب مع حاجاتهم لهذا اختاروا "إبراهيم" لكونه أول أنبياء المنطقة العظماء وقد ذكر احمد سوسة (ان أهم ما كان يهدف كتبة هذه الديانة هو إرجاع نسبهم المجهول إلى إبراهيم الخليل الذي يمثل أقدم وأقدم شخصيات العصر القديم ، ثم تثبيت عقيدة الأرض الموعودة وعزوها إلى إبراهيم وموسى وهؤلاء بريئون منها)⁽³⁴⁾

ويقول غارودي عن الوعد هذا : " من الملاحظ ان الوعد الابوي ، الذي يحدثنا عنه سفر التكوين ، لم يقطعه يهوه وهو الاله الذي دخل فلسطين مع جماعة الخروج ، بل قطعه الاله الكنعاني إيل في إحدى تجليات المحلية ، لان الاله المحلي الذي يملكك الارض هو وحدة الذي يملك ان يسمح للبدو الرحل بالاستقرار في ارضه".⁽³⁵⁾ بالإضافة الى ارتباط الامر بطقس تضحي كان موجود في كنعان في ذلك الزمن إلا ان التوراة جعلت منه وكأنه فداء وطاعة يقابله الوعد بالأرض ، وهنا التركيز الأساسي لدى التوراة على العهد والفداء الاختيار والعهد تذكرة التوراة بالقول :

(وقال الرب لابرام انطلق من أرضك وعشيرتك وبيت
أبيك الى الأرض التي اريك .وانأ أجعلك امة كبيرة
وأباركك وأعظم اسمك وتكون بركة .
وأبارك مباركيك
وشاتمك ألغنه

وتبارك بك جميع عشائر الأرض

فانطلق أبرام كما قال له الرب ومضى معه لوط . وكان أبرام ابن خمس وسبعين سنة حين خرج من حاران فأخذ أبرام ساراي امراته ولوطا ابن أخيه وجمع أموالهما التي اقتنياها والنفوس التي امتلكها في حران وخرجوا ليمضوا الى أرض كنعان وأتوا أرض كنعان)⁽³⁶⁾

³⁴ احمد سوسة ، العرب واليهود في التاريخ ، ص"ن"

³⁵ - غارودي المرجع السابق ، ص46. يبدو ان الحادثة لها حضورها في الميراث الديني للمنطقة سواء في كنعان او بلاد الرافدين حيث يروي سهيل قاشا : (في التوراة بعض عادات تظهر لنا نايبة شاذة ، ولكن في مخلفات التاريخ والآثار ما يثبت وجودها عند الأقدمين ويلقي عليها بعض نور . من ذلك ذبيحة اسحق التي تدل على تقريب ضحايا بشرية . فلنأبدا تبدو أقل غرابة إذا ما علمنا ان في قبور الكلدانيين وفي متفعات فلسطين بقايا أجساد أطفال وعبيد تبدو فيها آثار الذبيحة) انظر سهيل قاشا ، التوراة البابلية ، دار الفرات ، ط1 ، بيروت ، 2003 ، ص16. وانظر: دانيال روبس ، ماهو الكتاب المقدس ، تعريب ميخائيل الرجي ، دار المكشوف ، ط1 ، بيروت ، 1959 .

³⁶ جان بوتيرو ، ولادة اله التوراة والمؤرخ ص34. ونظر بواسطته التكوين ف 12:5-1

الطاعة الفداء تذكرة التوراة بالقول: ("يا إبراهيم " أجب "لييك " فقال له : "خذ ابنك وحيدك، إسحاق الذي تحبه ، واذهب الى منطقة المرايا ، وقدمه ضحية على إحدى الجبال الذي أقول لك عنه "فقام إبراهيم في الصباح الباكر وأسرج حماره ، وأخذ اثنين من خدامه وابنه إسحاق . وبعد ما قطع حطبا لإحراق الضحية ، ذهب الى المكان الذي قاله له الله عنه . 4 وفي اليوم الثالث ، تطلع ابراهيم فرأى المكان من بعيد. 5 فقال لخادميه: "انتظروا هنا مع الحمار ، بينما اذهب إنا والولد إلى هناك لنعبد الله ثم ترجع إليكما . 6" وأخذ إبراهيم الحطب للضحية ووضعه على كتف ابنه إسحاق ، أما هو فخل النار والسكين. وبينما هما ذاهبان معا ، 7 تكلم إسحاق وقال لأبيه إبراهيم يا أبي فأجابه إبراهيم : "نعم يا بني " قال إسحاق : "معنا النار والحطب ، ولكن أين الحمل للضحية ؟" 8 أجابه إبراهيم : "الله يدبر لنفسه الحمل للضحية يا بني . " وتابع ومدا إبراهيم يده واخذ السكين ليذبح ابنه . فناداه ملاك من السماء وقال : "إبراهيم إبراهيم " فأجاب : "لييك " 12 فقال : "لا تمد يدك الى الولد ، ولا تفعل به شيئا لأن علمت انك تتقي الله ، فلم تمنع ابنك وحيدك عني " 13 وانظر إبراهيم فرأى كبشا اشتبك بقرنيه في شجرة الغابة . (37)

فهذا النص المركزي الذي يمارس من خلاله تأويل العهد ونقله من إبراهيم إلى إسحاق دون إسماعيل على الرغم من ان القربان يذكرنا بفعل طقسي كنعاني (38) يقوم على التضحية الحيوانية او البشرية ، ولكن النص هنا يشكل محاولة تطويب العهد الذي قطعه الله مع إبراهيم وتجلى من خلال الختم الذي يميز أهل العهد عن غيرهم من الغلف (يشير الله في ظهوره لابراهيم الذي كلمه فيه بهذه الكلام ، أولا الى العهد الذي أبرمه معه ، ثم يكرره وعده . لكنه يحول بعد ذلك علاقة الوجود أمامه الى واقع مرئي دائم : انه يامر به بالختان "فيكون علامة عهد بيني وبينكم" (39).

وهنا يتشكل أول ملامح الراعي الذي سوف يشكل الأخيار او الأصل الذي يعبر عن الانتماء الأصلي للديانة التوحيدية سواء كانت إسماعيلية واسحاقية ثم ابنه اسرائيل وهنا يتشكل الخيال الجماعي المشترك الذي تحول الى مكتوب مع التوراة الإسرائيلية؛ الا انه بقي شفاهياً عند التيار

³⁷ التكوين : 22:1، 13.

³⁸ نفس هذا الطقوس عند الكنعانيين عده "رينهارد لاوت " دليل على كون الكنعانيين شعب شرير بقوله : كانت الأرض الكنعانيين ، وكان هؤلاء شعبا شريرا وفسادا بشكل خاص . انتهى به فساده الى عادة ، أن يقدم الابن البكر ذبيحة للأصنام التي يعبدها . ونتيجة لذلك لم يكن باستطاعة ابراهيم ان يشتري ارضا او ان يستولي عليها . انظر : رينهارد لاوت ، إبراهيم وأبناء عهده مع الله ص 152.

³⁹ المصدر نفسه ، ص 116. وانظر التكوين 11/17. رغم أن هذه العادة كانت سائدة في مصر القديمة... الخ ؟

الإسماعيلي⁽⁴⁰⁾ والمكتوب هنا (يشكل الوسيط الرمزي الذي يربطنا بالخيال التاريخي . ولا غرو أن يأتينا كما هو في بدايته وتلقائيته ، مادمنا لا نتقبله مباشرة بل بالواسطة ولكن هذه المرة وسيلتنا الوحيدة التي لا نملك غيرها... فالسطح هنا هو المكتوب الموثق ، والحفر فيه ممكن ، وقد يوصلنا الى الخيال الاجتماعي ، ولكننا لا نستبصره محسوسا ماديا ، بل من جنس المجردات)⁽⁴¹⁾ فالفرد ذاته وهو ينقل الخبر ذاته في سياقين مختلفين من شأنه أن يؤثر في الخبر على طبيعة الخبر في بته وتقبله الا الرواية والتقبل هما الان يصنعا الخبر وهذا ما حصل في الحديث عن شخصية يعقوب ، وبهذا تصدق المقولة التي اتخذناها عتبة والتي مفادها "أن الربانين والحاخاميين فسروا التوراة حسب أهوائهم وبالشكل الذي يلي غرائزهم ونزوعهم للتفوق على بقية أجناس البشر".⁽⁴²⁾

إنّ التحيز الى شعب معين يبدأ من العهود التي تؤكد عليها التوراة بين الانبياء والرب والوعد بالأرض ومن اجل الوصول الى هذا تعتمد التوراة تناصات اسطورية مستعارة من الشرق وهذا ما يرصد في التوراة خصوصا في الكتاب الخامس (الذي يستخدم الاسطورة القديمة لتصور اللاهوت المرعب في الاختيار الالهي الذي لعب دوراً حاسماً في تاريخ المعتقدات الثلاثة)⁽⁴³⁾ ولعل هذا ما يمارسه بعضهم أثناء الحروب الأخيرة فهذا احدهم اثناء تواجده في العراق المعاصر محتلاً وهو يزور آثار عراقية ويرصد فيها معابدها القديمة وآثارها يطرح سؤالاً عن حياة ابراهيم هنا (هذا المعبد أثار انتباهه بحجمه الهائل وموقعه المشرف على ما يصفه بأنه "قرية أور ببيوتها المنخفضة التي لا يتعدى ارتفاعها طابقاً واحداً وطابقين في أفضل الحالات". هذه "القرية" هي أحد أكبر مواقع المدن الأثرية في العالم وأهمها، ولكن أكرسون يتساءل

⁴⁰ يقدر تاويل غريب "رينهارد لاوت " لا ادري من أين جاء به؛ الا انه يقول : (تلخ الرواية أحيانا كثيرة إلى أن إبراهيم كان يحب اسماعيل بشكل خاص ، ألم يكن بالنسبة اليه الابن الذي طال انتظاره ؟ كان إبراهيم يتقدم أكثر فأكثر في السن ولم يكن يستطيع -من منظور طبيعي- أن يتوقع غيره) انظر : نفس المصدر السابق ، ص113. وقد اشار الباحث ايضا الى اعتبار (اسماعيل هو ابن ابراهيم ابنه البكر ، عبري حقيقي . هو اول من ختن ، وبهذا لا يمكن ازالة انتمائه الى العهد الابراهيمى مع الله ، لان العلاقة الله بمن يدعو تبقى بالدعوة غير قابلة للإلغاء، نفس المصدر ص163. وهي إشارة إلى شرعية أبناء إسماعيل ومنهم نبي الإسلام محمد (ص) بالانتماء إلى العهد الإبراهيمي مع الله

⁴¹ - محمد الجويلي ، الزعيم السياسي في الخيال الإسلامي بين المقدس والمدنس ، دار سراس للنشر، ط1 ، تونس ، 2002، ص31.

⁴² - وول ديورانت - قصة الحضارة..

⁴³ - إدوارد لين ، فلسفة الرب ، ترجمة ، مارلين فارس ، هفن للترجمة والنشر و البرمجيات ، ط1، القاهرة ، 2008 ، ص42.

"مندهشاً" كيف خرج إبراهيم من هذا المكان الذي يطل عليه "المعبد الوثني" المهيّب؟ وفجأة يجد الجواب، وهو أن إبراهيم استطاع أن يشق طريقه عبر هذا الظلام الوثني مهتدياً بنور التوحيد، ليصل إلى حران، ثم إلى ما يسميه بـ "أرض إسرائيل"، وهو الاسم الذي أعيد إحيائه بعد أربعة آلاف سنة من الفترة التي يفترض أن إبراهيم عاش فيها..⁽⁴⁴⁾

وعلى الرغم مما اصاب هذه الرحلة وتلك الشخصية من قراءات متنوعة بين النفي⁽⁴⁵⁾ والاثبات إلا أنها تبدو رحلة إبراهيم الفار بدينه من العنف الذي تفرضه السلطات الشمولية نحو وطن آخر تستثمره التوراة من أجل بناء وطن بديل .

6-2- من يعقوب الذي "أصبح إسرائيل" (الإسرائيليون أو بنو إسرائيل)

وهم جزء من الأسلاف لليهود أيضاً إلا أنهم مهمين هنا إذ كان العهد الثاني () اعتقد أن هذا العهد هو الأساس في انتقال الرأسمال الرمزي والاقتصادي القائم على الاستيلاء على الأرض لهذا تحاول التوراة أن تقدم توظيفاً أسطورياً في خلق علاقة بين الجد والإله من أجل الحصول على البركة وإن كانت تتعارض مع أبسط القواعد الأخلاقية واللاهوتية من خلال تشخيصها الرب ودخوله في صراع مع إسرائيل فهي لا تعامل الأسلاف بذات السمات التي تعامل بها الأنبياء بعد موسى وكأنا هنا أمام زمن الإبطال المؤسسين كما هو الحال في الأدب العراقي القديم مثل: اوتونابشتم وجلجامش وآدابا والأدب اليوناني كما هو أحوال أبطال هوميروس....الخ

ولكنّ النصوص الدينية هنا تعامل مع الوقائع على أنها تاريخ قديمي وتعمل على تقبل كونه تاريخ متعالي إذ يظهر يعقوب حسب السرد التوراتي يمثل محور الرغبة اليهودية القائمة على الفوز بالعهد الإلهي من دون أبناء إبراهيم الآخرين مثل إسماعيل فهو الأكبر وأول من تم تقديمهم بوصفهم قرباناً للرب على الطريقة الكنعانية .

⁴⁴ رسالة أكرسون الثانية من الكويت، أنظر (Frum.org). بواسطة : خالد الناشف، الاختراق الصهيوني للعراق، ص 23. وانظر أيضاً إلى : إدوارد لين ، فلسفة الرب، ص 41-43.

⁴⁵ - لقد كانت هذه الشخصية قد جذبه اهتمام المؤرخين فهناك من اثبتوا وأكد على وجود قرائن على حدوثها مثل ورود الفلسطينيين وهم قوم اريون من الغزاة الذين جاءوا الى فلسطين وقد ذكرهم مثلها ورد ذكر الشعب الحيثي من خلال اسم "ملك حيثي" كما يذكر دانيال روبس في ، ماهو الكتاب المقدس ، بالمقابل هناك من ينكر وجود هذه الشخصية ويعتبره اسطورية كما يرى سيد القمني ، النبي ابراهيم والتاريخ المجهول .

فمحور الرغبة يظهر البطل يعقوب يدخل في صراع او محاولة إقناع الرب وخلف يعقوب كل اليهود وارثوا العهد وبالمقابل الخصوم هم: أخوه إسماعيل وأبنائه اذ تروي التوراة لنا نصّين :

النص الأول :إسرائيل هو لقب للنبي يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل وقد اختلفت الروايات في أصله ، فهناك من يرى انه مؤلف من كلمتين قديمتين هما (إسرا) بمعنى غلب أو عبد أو صفوة و(إيل) وهو الله فيكون معنى الكلمة غلب الله أو عبد الله أو صفوة الله⁽⁴⁶⁾. وهناك من يرى انها كلمة كنعانية الاصل تعني (ليؤا - زر - أيل) وأيل اسم اله⁽⁴⁷⁾

ويبدو ان هناك حادثة ترويها التوراة؛ لأنّ الامر يأخذ بعدا اسطوريا عندما يتجسد الاله هنا شبيهاً تجسده في العبادات الوثنية اليونانية خصوصا في الالباذة وهذا يبدو حيث كان المقدس لم يكن متمائزا جوهريا من الطبيعة أو الصفات الإنسانية بحسب ما صورته التوراة (عاد يعقوب بعد سنوات من "حرا" مع زوجاته وعائلته داخلين مرة أخرى إلى أرض كنعان ،قتلاقوا في "عيد الظهور" في معبر "جابوك" في الضفة الغربية ، بينما كان هناك كائنا غريبا يبدو -روحيا- يصارعه طول الليل للفوز عليه . وعند الشروق مثل أكثر الكائنات الروحية كان لابد ان يغادر الارض ، لكن يعقوب تمسك به فلم يتركه يذهب الا اذا كشف له عن اسمه في العالم القديم الذي يعرف كشخص يمثل قوة عليا .لكن القوة الروحية العليا امتنعت فلم تبج ليعقوب بذلك كي لا ييوح له بتلك المعلومة)⁽⁴⁸⁾

فالامر هنا يتعلق باسم الاله السري كما يعرف بعلم السيمياء البابلية والقبالة اليهودية ، وهناك جزء اخر يتعلق بالبركة والعهد بالأرض فيعقوب بعد ان عاد من مصر اراد ان يقابل اخا له فجلس (يعقوب) في خيمة وبينما هو كذلك دخل عليه رجل : "فبقى يعقوب وحده وصارعه انسان حتى طلع الفجر ، ولما رأى انه لا يقدر عليه حق نخذه فانخلع حق نخد يعقوب في مصارعته معه . وقال اطلقني لانه قد طلع الفجر . فقال له لا اطلقت ان لم تباركني . فقال له ما اسمك فقال يعقوب . فقال لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل اسرائيل لانك جاهدت

⁽⁴⁶⁾ طنطاوي ، محمد سيد : بني اسرائيل في القرآن والسنة ،المصدر السابق ، ج 1 ، ص 6 ،

Odiak, p., the Israelites, New Jersey, 1990, p.9; Albright : opcit, p.14 .

⁽⁴⁷⁾ إبراهيم ، جابر خليل : "الاحطار الخارجية : اليهود والفرس" في كتاب العراق قديمه وحديثه-1998 ، ص 158 .

⁴⁸ - إدوارد لين ، فلسفة الرب، ص 39.

مع الله والناس وقدرت . وسأل يعقوب وقال اخبرني باسمك فقال لماذا تسأل عن اسمي وباركه هناك . فدعا يعقوب اسم المكان فنوئل قائلا لاني نظرت إلى الله وجهاً لوجه وبخيت نفسي . واشرقت له الشمس اذ عبر فنوئل وهو يخضع على نخده⁽⁴⁹⁾، وكأننا هنا أمام الصراع بين جلعامش وعشتار وكيف تمكن جلعامش وانكيدو من التغلب على الثور السماوي .

النص الثاني: يضع هذه الحادثة بعد إقامة يعقوب لمذبح الرب في بيت إيل ، وذلك بعد الصراع في يوق بزمن لا بأس به : "فأتى يعقوب إلى لوز التي في ارض كنعان هو وجميع القوم ، الذين معه وبني هناك مذبحاً ودعا المكان ايل بيت ايل .. وظهر الله ليعقوب ايضا حين جاء من فدان ارام وباركه ، وقال له الله : اسمك يعقوب ، لا يدعى اسمك يعقوب فيما بعد بل يكون اسمك اسرائيل⁽⁵⁰⁾ .

يمكن ان نورد نقداً للعهد الذي منح الى اليهود بأرض كنعان بوصفه تطويلاً للأرض ، فقد قدم غارودي مجموعة من النقود لهذا العهد وهي :

- 1- وعد بالأرض ، بمعنى الوعد بالاستقرار ، وقد وجه في بادئ الامر إلى جماعات من البدو الرحل الذين يتطلعون الى الاستقرار في أي من المناطق الاهلة الصالحة للسكن ثم اصبح هذا الوعد جزءاً من التراث الديني والقصصي لدى قبائل شتى متباينة .
- 2- لم يكن هذا الوعد الموجه إلى البدو هو غزو منطقة ما سياسيا او عسكريا بقدر ما كان يهدف الى استقرارهم بالسكن في منطقة محدودة .
- 3- في حقبة لاحقة اكتسبت الوعود القديمة بعدا جديدا وذلك عندما تجمعت عدة قبائل من البدو الذين توطنوا لتشكيل معا " شعب إسرائيل " إذ كان الاستقرار قد تحقق ومن ثم بدا الوعد يكتسب طابعا سياسيا وعسكريا وقوميا ، وبإعادة تفسير الوعد على هذا النحو أصبح ينظر اليه بوصفه نموذجا للغزو النهائي لفلسطين وإعلان قيام مملكة داود وإيضفاء الشرعية عليها⁽⁵¹⁾ .

⁽⁴⁹⁾ تكوين 32 : 24-32 ؛ السواح : ارام ، دمشق ، اسرائيل ، المصدر السابق ، ص 40 . س
⁽⁵⁰⁾ تكوين 345 : 6-10 ، وينظر ايضا ، السواح : ارام ، دمشق ، اسرائيل ، ص 40 ؛ طعيمة ، صابر عبد الرحمن : تاريخ اليهود العام ، ط 1 ، بيروت - 1975 ، ج 1 ، ص 439-445 ؛ العقاد ، عباس محمود : ابراهيم أبو الأنبياء ، بيروت - 1967 ، ص 49 محمد ، قاسم محمد : التناقض في تواريخ واحداث التوراة من آدم حتى سبي بابل ، قطر - 1992 ، ص 78 .

⁵¹ - غارودي المرجع السابق ، ص 46-48 .

3-6- موسى (الموسويون)

اولا - قصة الولادة والنبوة :

إنَّ الزعيم الذي كان له اثر كبير هو "موسى : ومنه جاءت التسمية الثالثة لليهود هي (الموسويون) وقد تم تداول هذه التسمية بعد مرور الدور الذي تم فيه تداول تسمية اسرائيل بزهاء ستمائة عام . عاش بنو اسرائيل في مصر في بحبوحة من العيش تحت رعاية اخيهم يوسف فقد أقطع لهم أراض زراعية خصبة ، وتكاثروا وكان سكنهم في أرض جاسان شرقي الدلتا ، لكن جاء ملك في مصر إلى الحكم فمارس معهم اعمال السخرة من اجل تشييد المباني . وفي هذا الواقع ولد موسى إشارة الى الجماعة التي خرجت من مصر بقيادة نبي الله موسى (52) ، لقد أثارت شخصية النبي موسى وأسمه كثير من الجدل بين علماء التاريخ والدين ، وهذه المشكلة دفعت الباحث اليهودي والطبيب النفسي سيجموند فرويد (53) إلى القول إن موسى كان مصرياً ويستند في ترجيح هذا الافتراض على ما يأتي :

1. لم يرد في أسماء العرب القدماء اسم نطقه كأسم موسى فهو أول شخص يحمل هذا الاسم .
2. أن كلمة موسى بأشتقاقها الذي ذكر في العهد القديم (خروج 8: 10) قد اعتبره اسما يهوديا وأنه سمي بهذا الاسم لأنه أنتشل من الماء ، حيث جاء العهد القديم : " ودعت أسمه موسى وقالت لأني أنتشلته من الماء " والكلام هنا على لسان أبنة فرعون (54) والفعل أنتشل في النص اليهودي فعل نادر الاستعمال جدا بهذا المعنى هو الفعل (مشى) الذي أشتق منه أسم موسى (موشى) .

⁵² تاكسيل ، ليو : التوراة كآب مقدس ام جمع من الاساطير ، ترجمة حسان ميخائيل اسحاق ، ط 1 ، بيروت - 1994 ، ص 164 .

⁵³ جدير بالذكر أن الطبيب الفرنسي موريس بوكاي نشر مؤخرًا كتابًا يحمل عنوان " العبريون في مصر " The Hebrew In Egypt, 1994، من قبل NTT Mediascope Inc بطوكيو كثمرة مشروع مشترك مع مؤسسة اسلامية باليابان حيث قارن بين تعاليم العهد القديم وأحداث التاريخ السياسي لمصر القديمة ثم رجع بعد ذلك إلى آيات القرآن الكريم لأستنتاج الحقائق الأكيدة ينظر : منظمة المؤتمر الإسلامي مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية ، أستنبول ، ع 36 ، 1995 ، ص 27.

⁵⁴ - السواح : الحدث التوراتي والشرق الادنى القديم ، ط 4 ، دمشق - 1999 ، ص 57-58 ، مني: جغرافية التوراة المصدر السابق ، ص 36-37 ، تاكسيل : المصدر السابق ، ص 167-168 ،

Albright, W.F., "From Patriarchs to Moses: Moses out of Egypt", B.A, Vol. 36, No. 2, 1973, p. 55-56.

3. نجد في اللغة المصرية كلمة قريبة جدا من نطق موسى هي لفظة (موسى) التي تعني مو = ماء ، سا = ابن فيكون معنى الاسم ابن الماء⁽⁵⁵⁾ ويكتبونها احيانا بالعربية (مس) بدون واو ، وهي التي توجد في أسماء الفراعنة نحو تمس (أي ابن الآله نحوت) ، ورعمسيس (أي ابن الآله رع)⁽⁵⁶⁾.

ويبدو ان هناك ذهنية قديمة باضفاء هالة من الاعجاز على ولادة الشخصيات المحورية في تاريخ الشعوب هكذا عامل الاكديون الامبراطور المؤسس في وسط العراق اذ هنا نص أسطوري قصة ميلاد سرجون الاكدي (2340 - 2284 ق.م) والنص الروماني أسطورة أولاد الذئبة⁽⁵⁷⁾ . ويبدو انها طريقة قديمة تعكس مكانة القائد واثره في تلك الحضارة ومن هنا كانت هناك تناصات اذ أشار عدد من الباحثين الى الشبه الكبير بين ما ورد في قصة سرجون الأكدي وبين ما ورد في قصة موسى⁽⁵⁸⁾ .

وتبدأ بعد ذلك هذه القصة المؤسسة في حياة الجماعة الموسوية مع اكتمل عقل موسى وعلمه وبلغ الاربعين شاهد مصريا يتقاتل مع عبرانيا فانتصر موسى للبراني فقتل المصري وهرب إلى أرض مديان ، وهناك التقى موسى ببيثرون (شعيب) كاهن مديان وتزوج ابنته ورعى غنمه ، ثم ظهر الله لموسى في عليقة في حوريب ، أخبره الرب أنه سماع صراخ بني إسرائيل وانه سيرسله ليخلصهم من الظلم.

ذهب موسى - بحسب الرواية التوراتية للتاريخ - الى فرعون وطلب منه تحرير بني اسرائيل ، لكن فرعون رفض فصنع الرب عشر آيات ومعجزات لضرب مصر وإخراج فرعونها :

⁵⁵- قيسي ، محمد بهجت : ملاح في فقه اللهجات العرييات من الاكادية والكنعانية وحتى السبئية والعديانية، دمشق - 1999 ، ص 336 .

⁵⁶- فرويد : سيجموند ، موسى والتوحيد ، ترجمة جورج طرايشي ، ط 2 ، بيروت-1977 ، ص 59 ؛ ابراهيم ، جابر خليل : المصدر السابق ، ص 155 ؛ ظاها : الفكر الديني الاسرائيلي ، المصدر السابق ، ص 17-18 ؛ موسى ، محمد العزب : المصدر السابق ، ص 17-20 ؛ جودي ، فاروق محمد : الصهيونية واللغة ، القاهرة - 1977 ، ص 69-70 .
⁵⁷- الشويلي ، داود سلمان : "رسالة الولادة المرفوضة دراسة تناصية بين ميلاد موسى □□□ وسرجون الأكدي" ، الموقف الثقافي ، ع 19 ، بغداد - 1999 ، ص 86-87 ، وعن النص الأسطوري لميلاد سرجون ينظر مني : جغرافية التوراة المصدر السابق ، ص 37 .

⁵⁸- باقر : مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ط 3 ، بغداد - 1973 ، ج 1 ، ص 36 ؛

Biema: opcit, p. 42; Hollo, W., "Compare and Contrast: The Contextual Approach to Biblical Literature", In: The Bible in the Light of Cuneiform Literature, ed. Hollo, W., Jones, B.W., Mattingly, G.L., U.S.A - 1990, Vol. 8, p. 6-7.

- 1- تحويل النيل إلى دم .
- 2- ضربة الضفادع .
- 3- ضربة البعوض والذباب .
- 4- ضربة المواشي بالوباء .
- 5- ضربة البرد (الحالوب) والجراد والظلام .
- 6- الضربة التي تم على اثرها الطرد وهي موت البكرات من النساء .⁽⁵⁹⁾

ثانيا - قصة الخروج :

على أية حال كانت غالبية الذين خرجوا مع موسى من الهكسوس والمصريين وقلة من بقايا بني اسرائيل أولئك الذين بقوا في مصر من نسل يعقوب ، حين قدم يعقوب وزوجاته وأسباطه عند يوسف في أعوام القحط⁽⁶⁰⁾ . والملاحظة الجديرة بالانتباه أن سفر الخروج يصمت صمتا تاما عن الفترة التي قضاها بنو اسرائيل في مصر بين وفاة يوسف وولادة موسى ، ولا نعلم سوى أن هؤلاء قد وقعوا تحت نير العبودية . فاقامة بني اسرائيل في مصر وفق سفر الخروج (12: 40) هي أربع مئة وثلاثين سنة أما سفر التكوين (15: 13 و16) فهي أربعمئة سنة فقط وفي نهاية قصة يوسف ، لدينا إشارة واضحة الآن إلى أن فترة الإقامة في مصر لم تتجاوز حياة جيل واحد فقط من أحفاد يوسف (تكوين 50: 23) والمدة الفاصلة بين موت يوسف ودخول كنعان بما فيها فترة الإقامة في مصر وفترة الخروج لم تتجاوزمئة سنة على أبعد تقدير ، وأن الذين ولدوا في حياة يوسف هم الذين أستعبدوا من المصريين وهم الذين خرجوا أيضا مع موسى ودخلوا مع يشوع⁽⁶¹⁾ .

عند "سفر التكوين" ، هو "سفر الخروج" ، ذلك هو اسم موسى ، كيف كتب بالخط العبري؟: كتب (م ش ه) وفسر على لسان بنت فرعون التي زعم هناك أنها مسميته كما يلي "كي من هميم مشيته" ومعناها "لأنني من الماء مشيته" والمقصود أنها أخرجته من الماء. أولا: نلاحظ أن الاسم "م ش ه" من لغة بنت فرعون لا من لغة العبرانيين. وأن "مشيته" من لغتها.

⁵⁹ - رشيد باني الضالمي ، الميثولوجيا ، المصدر السابق ، ص104-106.

⁽⁶⁰⁾ باقر ، طه : مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ط1 ، بغداد - 1955 ، ج2 ، ص 284 ، الصليبي : خفايا

التوراة المصدر السابق ، ص 153 - وما بعدها .

⁽⁶¹⁾ السواح : آرام ، دمشق ، اسرائيل المصدر السابق ، ص65-66 ، .

ثانيا: نلاحظ أن "م ش ه" من صيغة المبني للمجهول القريبة، وأن الهاء هناك للسكت، والمقصود ان بنت فرعون سمته "مشي" أي أخرج.

ثالثا: يلاحظ أن "مشي" في لغة بنت فرعون تعني "مشي" في عربيتنا، وأنها استخرجت من ذلك فعلا مبنيًا للمجهول على الطريقة العربية هو (م ش) وأضيفت الهاء للسكت. رابعا: يلاحظ أن هذه المعاني لا تستقيم إلا بالعربية، أعني أن كاتب النص كان يتحدث عن ناطقة بالعربية، وكان يكتب لقارئين بالعربية، فلذلك فسر الاسم بمقتضى العربية كما فهم. هذا كله ليس إلا اجتهدا في تفسير العلاقة بين (م ش ه) والفعل المذكور في عبارة بنت فرعون، لكنه ليس موافقة على تلك العلاقة التي ليست إلا تفسيرًا للاسم يأتي به كاتب النص المدعو "سفر الخروج". إن اسم (م ش ه) ليس كما ذكر كاتب سفر الخروج اشتقاقًا من المشي على لهجته العربية التي كتب بها في الأصل "سفر الخروج"، إن هو إلا تحريف لكلمة "موسى" التي تعني السكين. كل ما كان من ناقل النص إلى العبرانية أنه نقل هناك نصا عربيا يفسر الأصل الاشتقاقي للاسم (م ش ه). وعلى ذلك يكون كاتب النص العربي الأصلي قد قرأ في خط لا يثبت الحركات والنقط وحروف اللين، ويكون قرأ (م ش ه) في نص فيه (م. س)، وأضاف هاء السكت كما أضاف الحركات من بعد وحروف اللين. ومعنى ذلك، أن كاتب النص العربي الأول الذي ترجم عنه النص العبراني أخطأ في القراءة. لماذا؟ لأن القراءة الصحيحة (م. س) هي "موسى" وتعني السكين، بل إننا نضيف إلى ذلك أن المترجم إلى العبرانية اضطر إلى إدخال فعل "مشي" محرفا إلى العبرانية، وذلك ليفسر اسم (م ش ه) به، وكأن الأصل الذي نقل عنه كان كما يلي: "لأنني من الماء مشيته"، وكأن القراءة التي جعلت للاسم في الأصل العربي هي "مشي" بصيغة البناء للمجهول العربية، فاضطر المترجم العبراني إلى الحفاظ على الأصول العربية مع تحريفها لتناسب النطق العبراني، وذلك ليم له في النص العبراني بيان العلاقة بين الاسم وسبب التسمية. (62)

بنية المجتمع اليهودي وطبقاته الاجتماعية

القارئ الفقيه للمجتمع اليهودي يجد الطبقات الآتية في الشعب اليهودي:
الصدقيون:

⁶² نايف الزهراني، الأصول العربية للتوراة العبرية

<http://vb.tafsir.net/tafsir15838/#.VYMRTfmqqko> _03/05/1430 - 27/04/2009,

انتمائهم :وهم طائفة كهنوتية ارستقراطية، وقد اشتق اسمهم من اسم صادوق سليل فنحاس الذي مارس الكهنوت حين انتهى نسل أولاد هارون .

موقفهم السياسي : كانت متحالفة دائماً مع السلطة السياسية الحاكمة حتى حين كانت هذه كانت السلطة معادية لليهود ، كان هدفهم أن تظل الاوضاع مستقرة ليحتفظوا بسلطانهم وثروتهم . ومن ثم كانوا يتغاضون عن وجود المستعمر بل كانوا يشجعون ذلك ويسعون الى بقاءه ، لهذا لم يكن يحبهم الشعب .

فهمهم للشريعة :وقد اكتفى الصدوقيون بالطاعة الاعتيادية للشريعة المكتوبة فقط ، ورفضوا الأحاديث الشفوية التي يقول بها الفريسيون، الذين كانوا يعتقدون ان تقاليد الاباء وتعليقاتهم على الشريعة هي فوق الشريعة ، ومن هنا فقد

على مستوى المنهج : في فهم الشريعة فقد أخذ الصدوقيون بالاتجاه الحرفي المحافظ في تعاملهم مع النص المقدس اليهودي ، وعلى هذا فقد فهموا الامر القائل : "العين بالعين والسن بالسن " بمعناه الحرفي الدقيق ، بينما فسرته غالب "الفريسيين " بما يفيد دفع التعويض المالي .لقد أدت هذه الحرفية غير المرنة ، بالإضافة لأهمية الهيكل بوصفه المكان لتقديم الاضاحيات ، الى ضعف موقف الصدوقيين الذي كانوا -في الأساس - كهنة - ولم يستعيدوا مكانهم بعد نكسة سنة 70 (للميلاد)

عاشت ولم يكونوا يهتمون بالدين بل كما يصفهم مؤرخو الأفكار على أنهم كانوا ماديين دنيويين لا يؤمنون بالبعث ، ولا بالدار الآخرة ولا بالملائكة ويعيشون في الدنيا عيش التمتع والرفاهية من خلال ما تقدم من الضحايا والهبات التي كانوا يمنعون حرقها ويأخذوها لهم .

ويبدو ان هذه الطبقة من رجال الكهنوت بوصفهم المشرفين على المعبد يجعلون من المعبد مصدر للمال نظير ما يقدمونه من خدمات للمعبد . وهم بهذا كانوا حريصين على النصوص المدونة يأخذوها كما هي بظاهر النص دون تأويله وتأويل باطني ودون معاني شفوية تسقط على النص وهم بما يتعلق بالعالم الآخر كانوا يعكسون المعارف التوراتية التي كانت اقرب ما تكون إلى الفكر العراقي القديم حيث لم تشكل بعد تصورات عن العالم الاخر . (63)

الفريسيون:

⁶³ الان انترمان ، اليهود عقائدهم الدينية وعباداتهم ، ت: عبد الرحمن الشيخ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط، القاهرة، 2004، ص116.

التسمية : كانوا من اكبر الفرق اليهودية في القرن الأول (للميلاد) كانت هذه الجماعة تلزم اتباعها بقواعد صارمة للطهارة فيما يتعلق بإجراءات العشر Tithing procedures . كانت هذه المجموعة تسمى بيروشم Perushim بالعبرية بوصفها حركة محددة مميزة -أحيانا - في بداية الحقبة "المكابية" بعد حوالي سنة 160 قبل الحقبة المسيحية قبل الميلاد .

وقد كان يطلق على الفريسيين "الفاصلين Seperators او الانفصاليون - كما نعتهم (الصدوقيون) - أي أنهم فصلوا انفسهم وقد تدنسوا بإهمال ما تفرضه عليهم طقوس التطهر. من خلال انشاقهم على المجلس الديني السنهدرين Sanhedrin الذي يسيطر عليه الصدوقيون ، ورفضوا المشاركة في مشاوراته.

كان الفريسيون يعتبرون انفسهم الورثة الحقيقيين لليهودية كما تجلت في الكتاب المقدس اليهودي

.....

فقد الكهنة نفوذهم بعد تحطيم الهيكل (70 م) واصبح الفريسيون عن طريق احبارهم المعلمين والرعاة لذلك الشعب ، ومن ابرزهم (هلال) ولد في بابل (75 ق . م) وضع ثلاث قواعد ليهتدي بها الناس في حياتهم ؛ حب الناس وحب السلم ، وحب الشريعة ومعرفتها.

الاسينية⁽⁶⁴⁾:

⁶⁴ الأسينيون Essenes: نسبة إلى كلمة أسين، وتعني باليونانية الصامتين، أو الممارسين، أو الانتقياء أو الورعين أو المغتسلين أو الحسددين Hasidim بمعنى المشفقين، وقد أطلقت هذه التسمية على طائفة من بني إسرائيل نشأت قبيل العهد المسيحي في الفترة المكابية الحشمونية (150 ق.م - 30 ق.م) وسكنوا خربة قران قرب البحر الميت في الكهوف والمغاور، وفق شرائع محددة ملتزمة بالطهارة والعبادة وهي تختلف عن بقية الفرق اليهودية اختلافا أساسيا في عقائدها وتقاليدها، اتخذوا نظاما نسكا خاصا شديد التقشف وأتباعها رجال لا نساء بينهم، ومن أهم مبادئهم أنهم يحرمون نظام الرق على عكس الفرق اليهودية الاخرى التي يقوم نظامها على الرق، كما يحرمون الملكية الفردية ويرفضون تقديم الذبائح والقرابين ويدعون الى التعايش السلمي بين جميع الشعوب، اتباعها يغتسلون كل صباح في مياه الينابيع الصافية ويعتمدون في معيشتهم على ما يزرعونه من الحبوب والفاكهة وكانوا يستحضرون العقاقير ويجمعون الحشائش ويشتغلون بشفاء الناس من الامراض، وقد آمنت هذه الطائفة أن الله هو الخالق الوحيد، واستمرت هذه الجماعة قائمة إلى عام 68 م حيث قضى عليهم الرومان وفي فرضية اخرى ان هذه الجماعة بدأت تنقرض، وكان الأسينيون قد نسخوا تراثهم وحفظوه في كهوف خربة قران في حوالي 400 مخطوطة على أمل العودة إليها مرة أخرى، حيث بينت هذه المخطوطات الكثير من التناقضات في الأسفار التوراتية والإضافات المستمرة لخدمة السياسة اليهودية والوثنية الرومانية آنذاك.

وهم الفرقة الثالثة ويعني اسمهم - المستحم وان اعضاءها اخذوا عقائدهم وعباداتهم من نظريات الزهاد ونظمهم التي كانت منتشرة في العالم في القرن الاول قبل الميلاد وكانوا متمسكين اشد التمسك بالشرعية المكتوبة وغير المكتوبة ، ويعيشون عزاباً زهاداً في واحة (انجارس - Engads) وسط الصحراء الواقعة غربي البحر الميت يعيشون على شكل جماعة واليها ينتسبون وينتخبون زعماءهم بالاقتراع العام .. وكانوا ينتظرون خروج المسيح ليبنى على الارض مملكة شيعية سماوية وقد عذبوا ولم يتراجعوا عن معتقدهم⁽⁶⁵⁾. اذ كانوا جميعاً متفقين على ان المسيح سيخضع الكفار اخر الامر، وهنا نلاحظ التداخل الذي حصل بين المذاهب الأسطورية وكيف تداخلت في التوراة والفلسفة في أحداث لها اثر عميق في ظهور المسيحية فيما بعد.

⁶⁵ ديورانت قصة الحضارة ، ص174، وانظر طيب تيزيني من يهوه الى الله ج 3 ، المجلد 1 ، دمشق ، 1980 ، ص87، وانظر زياد مني ، بنو اسرائيل جغرافية الجدور ، دار الأهلالي ، ط 1 ، دمشق ، 1995 ، ص212- ص213. ص215. وانظر محمود الشريف ، الاديان في القرآن ، دار المعارف بمصر ، 1970 ، ص107 ص127.